مقدمة الكتاب

كثيرا ما كانت ترتفع أصوات السخرية من الناس تجاه النظريات الحديثة؛ نتيجة لعدم استيعابهم لهذه النظريات، أو نتيجة لقصور تفكيرهم عن الوصول إلىَ المستوى الفكرى لهذه النظريات أو تفهمهم لها، وكثيرا ما ارتفعت صرخات الاستنكار تجاه أناس حاولوا أن يتلمسوا طرقا غير مطروقة....

وبالرغم من أن التفكير السليم ليس إلا مجرد تعميم لتصوراتنا الناتجة عن الحياة اليومية، فقد اهتز ما يسمى بالاتجاه الرأسى فى وعى الناس عندما اكتشفت كروية الأرض.

والإنسان مشدود فى حياته بعشرات الخيوط التى قد يرى بعضها ولا يرى البعض الآخر، ولكن ليس معنى عدم رؤيته لها أنها غير موجودة..... إنها موجودة وتؤثر فى حياته دون أن يشعر. وكثيرا ما تمر بنا مواقف فى الحياة نحس فيها بوجود أشياء أخرى تؤثر فينا غير تلك المؤثرات التى نستطيع فهمها.

ومن البديهى أن نجد أنفسنا محكومين بالقوانين الطبيعية والفسيولوجية، غير أننا فى كثير من الأحيان نجد أنفسنا وقد اضطررنا إلى التفكير فى عوامل أخرى بعيدة كل البعد عن هذه المبادئ وتلك القوانين.

وليست دائما كل القوانين التى تحكم الحياة قوانين فيزيائية ورياضية وفلكية ومنطقية، بل هناك ظواهر أخرى ـ قد تدخل ضمن مراتب الأحاسيس والمشاعر والغيبيات، وقد يكون لها من القوة ما يعادل قوى القوانين، غير أننا لا نلتفت إليها ولا نعيرها الاهتمام الكافى، وقد نخشى أن يكون تأييدنا لها دافعا إلى توجيه النقد إلى أى من القواعد التى اتبعناها ردحا طويلا من الزمن.

وإذا كان البصر عاملا رئيسيا فى اكتشاف القوانين، فإن ما خفى منها تكتشفه البصيرة.

وما من شك فى أن المثابرين على البحث قد يلاحظون من الظواهر ما يختلف اختلافا جوهريا عن تلك الوقائع التى ألفناها فى حياتنا اليومية.... مثلهم فى ذلك مثل الغواصين، فهم قريبون دائما من الأعماق.... تتضح لهم فيها الرؤية رغم ظلماتها، ويرون ما خفى عن الناس واضحا جليا....

وقياسا على ذلك فإنه يجب علينا إعادة النظر فى تلك التصورات التى رسخت فى أذهاننا والتى اعتدنا عليها أزمانا طويلة.... وفى

موضوعات قد تحتاج إلى البحث من جديد ـ مثل حدوث حدثين فى وقت واحد، وهل هناك رابط بينهما؟ وما قد يتراءى لبعض الناس من صور للأحداث قبل وقوعها. . . .

والعلم لا يخشى الاصطدام بأية أفكار جديدة. . . . ولكن قد يكون السبب الرئيسى لما نحاول إخفاءه هو عدم وجود التوافق بين المعلومات الموجودة فعلا وبين التصورات التجريبية الجديدة. . . . وإذا ما حدث هذا التوافق فإن العلم سوف يحطم دونما تردد الحواجز القائمة، ويرفع بذلك إدراكنا إلى درجات أعلى.

وقد لا يستطيع الإنسان أن يتنبأ بما يمكن أن يقع من أحداث. . . . ، غير أنه من الممكن القول بأن هناك أناسًا قد يكونون مزودين بقدرات تمكنهم من أن يحسوا أو يدركوا ما لا يمكن أن يحسه أو يدركه الآخرون.

فهل يمكن التصديق بأن بعض الأوضاع غير المعقولة، بل والتى يستبعد حدوثها جائزة الحدوث؟ . . .

ومهما ابتعد الإنسان ومهما حلق فإنه فى حاجة إلى مزيد من التعرف على نفسه. . .

وليست هذه دراسة أكاديمية بالمعنى المصطلح عليه تزخر بالمصطلحات العلمية الجامدة بقدر ما أرجو أن تكون جولة حول

بعض ما يجب أن يعرفه كل إنسان عن نفسه وعن البشرية التى ننتمى إليها. . . .

والله ولى التوفيق

عاطف محمود عمر